**إشكالية اعتقاد الإنسان**

**بين مَدَيات الدّولة الدّينية والخطاب الغربي**

**م.د. جاسم فريح الترابي / الكلية الإسلامية الجامعة**

**توطئة**

 تُعدُّ مسألة اعتقاد الإنسان من أهم الإشكاليات التي يوجهها مذ أن وضع الإنسان رجله في هذه البسيطة،والناس كلّهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، وبصرف النظر عن كونهم مسلمين أو غير مسلمين، ذوو منشأ واحد، وأصل واحد وفطرة واحدة. فقد خلقهم الله عز وجل جميعاً من نفس واحدة، وهي نفس أدم ونفس حواء، وخلق منهما خلقاً كثيراً، ذكراً وأنثى، وقد قدّمت الدولة الدينية المتمثلة بالرسول الأعظم (ص) صورةً موضوعية تراعي الفطرة البشرية، كما تراعي الواقع الإنساني المتنوع وحرية الإنسان في اختيار العقيدة التي يشاء والنظام الذي يريد لحياته.

 وقد أعلى القرآن الكريم من شأن الإنسان بصورة عامة، بصرف النظر عن دينه وجنسه أو عرقه، فقد نصّ على أنّ الله كرّم الإنسان غاية التكريم عندما نفخ فيه من روحه وفضله على كثير من مخلوقاته، وجعله خليفة عنه في الأرض لتعميرها وتنمية الحياة فيها من أجل خيره وسعادته، والعيش في سلام من غير نزاع ولا شقاق ولا قتال؛ وحرّم قتله من دون وجه حق، بحيث اعتبر قتله عمداً بغير ذنب أو فساد في الأرض ابتغاء الفتنة بين الناس، وبمثابة قتل الناس جميعاً.

 وفي طرف المقابل نجد الخطاب الغربي الديني والسياسي يعتمد على أسس وايدلوجية تنطلق من مفاهيم الحروب الصليبية على البلاد الإسلامية، وفلسفة القرون الوسطى، وعصر التنوير، وفكر المستشرقين ويعتمون على عولمة الايدلوجية العقيدية، وقد خلق الخطاب الغربي من الأفكار المتطرفة عند بعض المسلمين لضرب الإسلام نفسه، وبدأ يصرحون أنّ الإسلاميين أبعد ما يكونون عن معاني الحرية العقيدية والفكرية والدينية.

 ومن المستغرب أن نرى الخطاب الغرب الأمريكي - الأوربي، السياسي والإيديولوجي المعادي للعرب والمسلمين، في ظل عصر العولمة الغربية والمناداة بضرورة قيام حوار بين الثقافات والأديان، والدعوة إلى التسامح، ولكن من يعرف حقيقة فلسفة العولمة، أو الفكر الذي يوجّه العولمة، لا يفاجئه مثل هذا الخطاب على الإطلاق، كما أنّه لا يفاجئ أيضاً كل من يعرف أنّ الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية, جورج بوش، يعدُّ نفسه أنه يتلقّى الآلهام من السماء في اتخاذ القرارات الدولية السياسية والعسكرية المهمة، ومنها: غزو العراق، وأنَّ هذا الأمر، دفع بالمستشار الألماني السابق: (غير هارد) في تصريح له، إلى الاستغراب، عندما أسرّه له الرئيس الأمريكي.

 يحاول هذا البحث أن يقف عند إشكاليات المنظومات الايدلوجية في نظرتها الى عقيدة الإنسان، محاولةً استكشاف مكامن التي تقف وراء تلك النظرات، وينعقد ذلك في ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: عقيدة الإنسان في الدولة الدينية**

العقيدة لغة واصطلاحاً:

العقيدة في أصل اللغة تعني الاعتقاد, والانعقاد مشتق من مادة العقد والانعقاد(1).

وأمّا تعريف العقيدة اصطلاحًا فقيل بأنّه: التصديق بالشيء فقيل بأنّها (التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة)(2)، فهي بهذا التعريف تكون بمعنى الإيمان فالإيمان هو التصديق وقيل بأنّها الجانب النظري الذي يجب على المؤمن الإيمان به أولاً يقينيًا مبنيًا على التصديق الجازم مع الشعور بالرضا وإقبال النفس عليه والاطمئنان به، وعرفت بأنها مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة ويعقد عليها الإنسان قلبه ويثبت عليها صوره جازمًا بصحتها قاطعًا بوجودها وثبوتها لا يرى خلافها أن يكون أو يصح أبدًا(3).

وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات نجد أنّها متقاربة وتدل على معنى واحد فالعقيدة تصديق جازم وإلزام القلب بالثبات على هذا التصديق "ويقصد تهذيب السلوك وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى، وإنَّ حرية العقيدة تعدُّ من الحريات الاجتماعية، ويسلم الإسلام أن يكون الإنسان حرّاً في شؤونه الحياتية كافة، أي لا يعترض تقدمه حاجز وسدّ ولا يكون هناك أي سدّ يحول من دون تنمية قابلياته.

وقد شرع الفقه الإسلامي منذ بداياته جملة من الحقوق الأساسية الطبيعية للإنسان, منها حقه في الحياة بكرامة وسلام، وحقه في حرية القول، والمعتقد، والعبادة، والعمل، فالإسلام دين سماوي يؤمن بالله الواحد الأحد وملائكته وأنبيائه ورسلة وكتبه واليوم الآخر والثواب والعقاب. وقد جاء ليكمل إرادة الله في استكمال هداية الإنسان إلى سبيل السواء، وليس لنقض أو نسخ الشرائع الآلهية التي سبقته ولا نفيها، ولا لإرغام أهله على ترك دينهم واعتناق الإسلام. ولذا، فهو يعترف بالديانتين السابقتين عليه: اليهودية والمسيحية، ويسلّم بكل ما جاء فيهما من معتقدات وأحكام ووصايا, كالنهي عن الظلم، والإفساد في الأرض، والقتل، والسرقة، والزنا، والكذب، وشهادة الزور، والأمر بطاعة الوالدين (4).

 وبالرغم من أنَّ الإسلام يدعو جميع الناس الى اعتناقه بوصفه آخر الأديان السماوية، فأنّه يدعوهم إلى ذلك عن حرية واقتناع من دون أي إكراه مادي أو ضغط نفسي أو معنوي، وهو ينظر إلى أهل الأديان الذين يبقون على دينهم، ومعتقدهم نظرة تقدير واحترام, ويوصي بالتعامل معهم في الحدود التي تقتضيها حدود التعامل الإنساني والأخلاقي والاجتماعي والديني، من دون أي تدخل في شؤون معتقدهم، أو ممارسة شعائر دينهم، أو التصرف على وفق أحكام شرائعهم، من بيع وشراء، وزواج وطلاق، ووصايا، وميراث... حتى مثلاً في صناعة الخمور وتعاطيها، وتربية الخنازير وبيعها وشرائها والتعامل بالميسر.... الخ (5).

 ومن أبعاد حرية العقيدة في الإسلام: **إ**قرار الإسلام حرية الإنسان في اختيار العقيدة التي يؤمن بها، فله أن يدخل الإسلام وله أن يبقى على يهوديته أو نصرانيته أو مجوسيته، وللإنسان وحده ملكية هذا الاختيار بدون تدخل من مؤثر داخلي أو خارجي لقسره على اختيار عقيدة معينة، لذا شرع الإسلام الجهاد كما مر سابقًا لحماية هذه الحرية(6)، وللإنسان الحرية في ممارسة شعائر عقيدته التي اختارها من طقوس وأعمال يراها واجب في شريعته التي آمن بها، ولا يحق لأحد منعه من ذلك إلزام الناس باحترام حق الغير في اختيار عقيدتهم أو حقهم في ممارسة شعائرهم الدينية،وإلزام صاحب العقيدة بالعمل على حماية عقيدته واحترامها فلا يحق للمسلم بعدما اختار عقيدة الإسلام أن يترك هذه العقيدة أو أن ينكر ما علم منها بالضرورة.

وشرط الإسلام شروطًا حتى يكون هذا الشخص أهلاً لاختيار عقيدته ومن هذه الشروط أن يكون بالغًا عاقلاً أي أنه يتمتع بقدرات الإدراك والنضج الإنساني، ومن هذه الشروط كذلك النضج الحضاري؛ لأنّ أحوال البدائية الحضارية والتخلف الحضاري قد جعل الإنسان في تصور حضاري واجتماعي وذهني بحرمة القدرة على اتخاذ القرار الإنساني ويحرمه أهلية الحرية وبناء على هذا عمل الإسلام في شبه الجزيرة العربية على تخليص العرب من الهمجية والفوضى التي كانوا يعيشونها فبعد أن نظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية دخلوا فيدين الله، ونهى الإسلام عن إكراه غير المسلم على الدخول فيه فلا إكراه في الدين قال تعالى: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (البقرة:256).

 إذ الدين والإيمان ليس إكراهاً وهو طريق واضح، والإيمان الذي يريده الإسلام لا يمكن أن يحصل بالإكراه، لا يمكن أن يُقيّد طفل ويُضرب ضرباً مبرحاً كي يحل مسألة، لا يمكن لشخص أن يحل المسألة بالضرب، يجب تركه حراً وترك فكره حراً كي يحل المسألة، والعقيدة الإسلامية هي كذلك {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}، قيل شأن نزول هذه الآية: إنَّ عدداً من أهل المدينة من الأوس والخزرج كانوا يرسلون أطفالهم إلى اليهود قبل دخول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة، لأنَّ اليهود كانوا أكثر تحضراً من الوثنيين في المدينة وكان فيهم أفراد قليلون يراوح عددهم بين 10- 20 شخصاً يجيدون القراءة والكتابة على العكس من العرب الوثنيين الذين كانوا يرسلون أطفالهم إلى أولئك لتربيتهم وتعليمهم بعض الأمور وكان هؤلاء الأطفال يرون أنَّ المستوى الثقافي لليهود أرقى من المستوى الثقافي لآبائهم ينجذبون إليهم ويعتنقون دينهم أحياناً ولما جاء الإسلام إلى المدينة اعتنق الوثنيون الإسلام، ولكن أكثر اليهود بقوا على دينهم وبقي بعض الأطفال إلى اليهود لغرض التعليم على دين اليهود حتى وقعت وقعة بني النضير وتقرر أن يقوم بنو النضير بالجلاء عن الوطن بسب ما ارتكبوه من خيانة ونقض للعهد، قال أطفال الأنصار الذين اختاروا دين أولئك: نحن نذهب معهم فأراد الآباء منعهم وقالوا لهم: لا يحق لكم الذهاب، ويجب أن تعرضوا عليهم الإسلام فجاؤوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لهم ما معناه: يجب أن تعرضوا عليهم بالإسلام، فإن آمنوا وإذا لم يؤمنوا فإننا لا نريد أن يسلموا بالإكراه ((لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)).

لقد اتضحت الحقيقة حالياً واتضح طريق الهداية من طريق الضلالة وإذا لم يسلك شخص طريق الهداية فليس ذلك إلّا بسب المرض. ولم يرع أي دين حرية الاعتقاد الحقيقة بمستوى مراعاة الإسلام وهذا ما اعترف به المؤرخون الغربيون وبهذا كانت الأكثرية الساحقة للإيرانيين في صدر الإسلام مجوساً ولم يكونوا مسلمين، وقد اعتنق الإيرانيون الإسلام حينما لم تكن حكوماتهم حكومة عربية، كانت حكومتهم حكومة إيرانية ولم يكونوا مسلمين في أيام حكومة العرب, ولم يكرههم العرب على اعتناق الإسلام(7).

**المبحث الثاني: المنهج الكنيسي اتجاه عقيدة الإنسان**

ظهرت فكرة العزل بين الدين والسياسة في الدين المسيحي نتيجة لمعتقدات الكنيسة المعادية للاتجاه العقلي، وكان ذلك بسب المعادل الموضوعي وردة فعل بوجه مناصب السياسة والاجتماع في الكنيسة بدأت بالإصلاح في المعتقدات الكنسية، وكانت الكنيسة بوصفها القناة الوحيدة والمركزية في إدارة جوانب المجتمع كافة، تحمل أفكاراً ومعتقدات لا تحظى بتأييد العلماء والمفكرين؛ الأمر الذي جعلها عرضة للانتقادات بمصداقيتها، وخصوصاً في مجال سلطتها على المجتمع. ومن ذلك الاعتقادات المنحرفة: ترى الكنيسة أنَّ جميع الناس يولدون مذنبين فطرياً، وتوارثاً لذنب آدم (عليه السلام) ــ في أكل الشجرة المحرمة ــ ثم أصبح عيسى (عليه السلام) الهاً ليكفر عن ذنوب ولد آدم، وقد استدلوا على ذلك بهذه الجملة في الإجمال: (أذنب الناس فقصروا عن نيل جلال الرحمن، ثم نالوا فيضه منحة للجميع بوساطة فدية المسيح التي كان الآله قد احتسبها سلفاً كفارة للجميع)(8).

وبذلك باتت الكنيسة تتصدى وتقمع كل من ينكر الذنب الأول، وحين أنكر الراهب البريطاني بيلاغيوس(peIagius) مفهوم الخطيئة الأولى، وقال لكلِّ شخص أن يطهر بالعمل نفسه من الذنوب ولا حقيقة للتعميد، ما كان من الكنيسة و(أغوسطين) المقدس إلا التصدي لبيلاغيوس بحزم شديد وأخرجوه من الكنيسة، فقصد أورشليم وعقب مدة انقطع أورشليم وعقب مدة انقطع خبره هناك وبات في عداد المفقودين (9).

ولا شكَّ في ضحالة هذا التفكير، وهو مغالطة واضحة المعالم، فكيف يمكن للعقل أن يقبل ان يُدان المرء بجريرة غيره، ويبدو أنّ التفكير يرجع الى أصول يونانية قديمة تؤكد على أن يخضع الإنسان الى فكرة التطهير، وعلى الرغم من ذلك فلا زال هذا التفـــكير هو المركوز في أذهـــــان المسيحين، ولا غرو أن َّالنتائج السلبية على هكذا التفكير تٌعطي للكل الانغماس في اللذات والتوغل في الذنوب، فهذا منطق تبريــري للقيام بما ترضيه بيئة الغرب الفاسدة.

وكان من جملة الفساد العقيدي عند المنظومة الكنيسية دعوة الإنسان للاعتقاد بأنّ الكنيسة هي المرجع الديني والعلمي الوحيد للناس، فكانت تطلب من الناس قبول كل من يحظى بتأييدها بطريقة تعبدية من دون ذكر الدليل، كما كانت الكنيسة تعتمد بعض النظريات العقلية والطبيعية المقتبسة من الفلسفة اليونانية، وتدخلها على الدين، مع رفض أي نظريات جديدة وتكفير أصحابها(10)، يقول (ابان باربور) في هذا المُعطى: (لقد بلغ التناغم أشده بين الهيات أهل الكتاب في القرون الوسطى ومذهب أرسطو، بحيث بات من يخالف كونيات أرسطو مخالفاً للمسيحية أيضاً)(11).

 ويبدو ترسيخ هذا المُعطى حتى يتسنى للكنيسة أن تتخلص من جملة الإشكالات التي يثيرها بعض الفلاسفة والمفكرين، إذ إن إضفاء صفة القداسة والعصمة واستندت مبتنيات الكنيسة العلمية المتزمتة إلى وصف رأي الكنيسة بالعصمة وضرورة الطاعة، وذلك بالاستناد إلى كلام عيسى (عليه السلام) مع الحواريين: (كل من ينكركم ويعرضكم عن حديثكم ويعرض عن حديثكم فهو مطرودٌ من المدينة)(12), وانطلاقاُ من هذا المٌعطى صوتت الكنيسة في اجتماعها الرابع في (1546م) على جميع مواد القانون الأساسي في الدين المسيحي التي كانت قد صوتت عليها في اجتماع (نيقية)، ومن دون إجراء أي تغيير، مع الاعتراف بسلطة السنن الكونية ومكانة الكتاب المقدس (13)، وهذه العقيدة، هي السبب وراء تكفير الكنيسة لكل رأي مخالف، وتأسيس محاكم التفتيش في الأفكار والمعتقدات، فحاكمت العلماء والمخترعين, ومن شواهد مخالفة الكنيسة مع العلم: دمر قسم من أقسام مكتبة الإسكندرية عام (390) بأمر من الأسقف الأسقف ثروفليوس(()(ThroohiIus, وتعرض (غاليلو) أستاذ جامعة (بادو)، وهو صاحب الاختراعات العديدة للمحاكمة والتوقيع بالتوبة، بسب كتابته مؤلفاً يبطل فيه نظرية بطليموس حول الأرض حول الأرض والمركزية (14).

وعلى الرغم من مساعي الكنيسة للحفاظ على مكانتها العلمية متفردة من خلال المحاكمات والعقوبات بحق المجددين في الفكر إلا أنّها لم تتمكن من إيقاف عجلة التطور العلمي، وتنامت تحديات العلماء في طرح أفكارهم الجديدة في مختلف العلوم،لا سيما الطبيعة منها، فتوالت النظريات المعارضة لرأي الكنيسة، ولم تحمل مواقف الكنيسة غير العلمية تجاه تطور العلوم سوى انزعاج الناس منها وخصوصاً العلماء.

لقد ولّد موقف الكنيسة هذا رأياً في كون الدين مانعاً من تطور البشر في مختلف المجالات، وأنّه لا بدَّ من أجل المضي في مسيرة العلم والتقدم من حصر مديات الكنيسة بالجانب الديني، وعزلها عن الساحة السياسة والاجتماعية، الأمر الذي عبّد الطريق لتنحية الكنيسة عن منصب الحكم والسلطة (15)، ولو قرأت تاريخ العالم (البرمالر) الجزء الثالث منه الذي تكلم فيه عن تأريخ القرون الوسطى للاحظت ما هي الجرائم التي ارتكبها المسيحون لفرض العقيدة المسيحية على الفرق المسيحية التي اعتبروها بدعة أو على المسلمين أو غير المسلمين.

والجدير بالذكر، أنّ بعد تراجع سلطة الكنيسة في العهد المعاصر، أعلنت الكنيسة الكاثوليكية في الواحد والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة 1964م، موقفها من المسلمين، إذ جاء في قرارات المجمع المكسوني الفاتيكاني الثاني الذي انعقد سنة 1964م، تحت عنوان علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية: (إنَّ الكنيسة تنظر بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي القيوم الرحيم فاطر السماوات والأرض، إنهم يعظمون المسيح كنبي وإن كانوا لا يعترفون به كآله، وهم يحترمون أمه البتول العذراء ويذكرونها بكل تقوى، وهم يرجون اليوم الآخر يوم يجزي الله جميع الناس بعد البعث، وهم بالتالي يقدرون الحياة الأخلاقية ويعبدون الله خاصة بالصلاة والزكاة والصيام. وإذا كانت قد نشبت منازعات غير قليلة بين المسحيين والمسلمين على مدى الأجيال, فإنّ المجمع المقدّس يهيب بالجميع أن ينسوا الماضي ويعملوا بإخلاص على إحلال التفاهم المتبادل بينهم وتعزيز العدالة الاجتماعية والقيم الأدبية والسلام والحرية للناس أجمعين (16).

**المبحث الثالث النّظريات الحديثة في الغرب**

ظهرت جملة من النظريات الجديدة في مجال اعتقاد الإنسان فظهر اتجاه في الغرب رأى أن يكون العقل هو الأول في قيمومة الاعتقاد، ويأخذ مكان الوحي، أو أنّ الوحي في أقل تقدير تابع له؛ نظراً لدور العقل في شرح عالم الوجود ووجود الإنسان ومتطلبات سعادته، حتى أن بعض المتنورين سعى إلى حصر نصوص الكتاب المقدس بالمتناقضات، وهكذا أخذت مصداقية الكنيسة وسيطرتها تتضاءلان شيئاً شيئاً، حتى وصل الحد في تنامي الاتجاه العقلي عقب ظهور الجيل الثالث من المتنورين إلى التكلم هذه المرة عن التشكيك في الدين وتخطئته أيضاً(17).

وظهر تفكير ل(واطسن) المتآله المعاصر المعروف له كتاب باسم (الحكمة المضطربة) حيث يقوم في هذا الكتاب بعملية تفكيك بين (الاعتقاد) و(الإيمان) ويقول: إنَّ الناس في أغلب الموارد يخلطون بين الاعتقاد والإيمان، في حين أنهما يمثلان حقيقتين مختلفتين، ولكلِّ واحدة منهما خصوصيات معينة تميزها عن الاخرى، فما هو الفرق بين الاعتقاد والإيمان، وعلى أساس تعريفه فإن صاحب الاعتقاد هو الشخص الذي يقول إن العالم هو كما اعتقد, ولكن صاحب الإيمان هو الشخص الذي يقول (ينبغي أن أعرف العالم تدريجياً، وعليه فكل عقيدة اعتقد بها تمثل منزلاً في طريق وصولي إلى الحقيقة، وبما أنني لا أشعر أبداً بأنني قد وصلت إلى الحقيقة، فلذلك أنا مستعد دائماً للتحرك باتجاه الحقيقة، وهذا يعني الاستعداد لتغيير الحقيقة)(18).

مع تراجع نفوذ الكنيسة معنوياً وسياسياً ظهرت فكرة ونظرية (الهية الملك) والترويج لفكرة الحاكم خليفة الله المباشر في أمر الدولة، وترسمت مقدمات عزل الكنيسة –كلياً- عن فعاليتها السياسية والاجتماعية، فتغلب الإمبراطور على الكنيسة، بحيث أنَّ بعض علماء المسيحية صار يقول بضرورة استشارة الإمبراطور في تنصيب الأسقف: (على مجلس العموم أن يشرك الإمبراطور في جلسته هذه, وأن يستحصل في تنصيب أي أسقف تأييده, وعلى البابا إطاعته كأي شخص آخر)(19)، ويستند هؤلاء من نص في الكتاب المُقدس (يجب على كل فرد أن يطيع القوى العليا؛ لأنّه لا قدرة إلا لله, وما هو موجود معين من قبل الله... وهو خادم لله)(20).

وذهب آخرون الى تبني ان كل من الكنيسة والإمبراطور يرى في نفسه خليفة لله في حكمه على الناس، ويستمد – بنحو ما شرعيته من الجهة الالهية؛ الأمر الذي أفرز في القرن السابع عشر آراء جون لوك (1632م -1704م) الذي يمكن أن يقال في حقه بأنه واضع النظرية الديمقراطية الغربية، حيث سعى جاهداً في إثبات أنّه لا واجبات على أحدٍ تجاه أحد, وإنّما جميع الناس متساوون في الحقوق، فلا يحقُّ لأحد أن يحكم غيره؛ وأن أصل القوة والاقتدار منوط بمن يختار الحكومة، وهي وجدت لمجرد تحقيق إرادة الشعب (21).

ونتيجة لتنامي المنجز العلمي والفلسفي المتمثل بظهور الفلسفة التجريبية والحسية ظهر تيار واسع يدعو إلى نبذ الأفكار الميتافيزيقية، وبذلك بات الوحي والاختبار، سبباً في نبذ الأفكار الميتافيزيقية؛ وبذلك بات الوحي والاعتقادات السابقة عرضة للانهيار؛ لأنَّ غالبية المفاهيم الدينية لا تستنج بالتجربة الحسية، من قبل الرب والمعجزة والملائكة والوحي و....، وفقاً لهذا بات كل شيء يفسر وفق الطبيعة، ولم تعد هنالك حاجة إلى إقحام الاله خالق الكون في تفسير الكون، وحين سأل (نابليون بونابرت) المسيو (لابلاس): (لماذا تذكر الخالق في كتابك عن نظام الكون؟ أجاب: لا أحتاج إلى هذه النظرية)(22)، كما أنّ (أ.ج. آير) الذي يدين ل(باركلي) و(هيوم) في ما وصل إليه، عدَّ القضايا الدينية، ومنها وجود الله غير مجدية ومهملة، ورأى إمكانية نقد ومناقشة هذا النوع من القضايا(23).

 ويرى بعض الفلاسفة الأوربيين إنَّ الدِّين مهما كان نوعه سواء أكان على شكل عبادة أوثان أم بقر أم كان ديناً الهياً فإنّه أمر يتعلق بضمير كل شخص، أي إنّ كل شخص في ضميره بحاجة إلى الدِّين للتسلية، وقد قبلوا هذا المقدار وهو إنَّ الإنسان لا يمكن أن يكون من دون تسلية دينية كما يطرحون هذا الكلام في قضية الفن حيث يقولون إنَّ الإنسان بحاجة إلى تسلية فنية والإنسان بحاجة إلى تسلية شعرية، وذكروا أن القضايا ذات الصلة الشخصي لكل فرد ليس فيها حسن وقبح، وليس فيها صدق وكذب، وليس فيها حق وباطل، حقها وباطلها وصدقها وكذبها يرتبط بحب الإنسان فكل ما يحبه الانسان هو حسن(24).

 ولا ريب أن هذا التفكير نتج ليساور انحلال الناس وطلبها للدعة، فالأمر استحسان، وردة فعل لتسلط الكنيسة التي ضيقت الخناق عليهم, ويقول هؤلاء (أننا نفهم أنَّ الإنسان ليس بمقدوره العيش من دون دين ومن دو شروط حياة الإنسان ومن الأمور التي يتسلى بها في حياته وهو أن يتسلى الإنسان بموضوع بوصفه دين وعند ذلك لا فرق في أن يكون الهة الذي افترضه هو إنسان اسمه عيسى المسيح أم بقرة أم معدن أم خشب وعليه ينبغي عدم مضايقة الأفراد، ولكل شخص الحق في اختيار ما يريده وفقاً ما يريده لذوقه)(25).

وأشكل مرتضى مطهري على هذا المقتضى بالقول: (إنَّ نمط تفكيركم في باب الدِّين خطأ، وإنَّنا لا نقبل الدين الذي نقول بشأنه: إنَّ العقيدة فيه حرة، وأنا اعتقد بالدّين بوصفه طريقاً لسعادة الإنسان وفي الطريق الحقيقي لسعادة الإنسان يجب أن لا يقال إنَّ عقيدته حرة وإن لم تكن هذه العقيدة قائمة على أساس التفكير)(26).

**الخاتمة**

إنَّ حرية العقيدة تعدُّ من الحريات الاجتماعية، ويسلم الإسلام أن يكون الإنسان حرّاً في شؤونه الحياتية كافة، أي لا يعترض تقدمه حاجز وسدّ ولا يكون هناك أي سدّ يحول من دون تنمية قابلياته.

إنّ أمر حرية الاعتقاد عند الخطاب الغربي مرهون بإطار محدد وهو إذ أخلّ بنظامه العام.

ظهرت جملة من النظريات الجديدة في مجال اعتقاد الإنسان فظهر اتجاه في الغرب رأى أن يكون العقل هو الأول في قيمومة الاعتقاد، ويأخذ مكان الوحي، أو أنّ الوحي في أقل تقدير تابع له؛ نظراً لدور العقل في شرح عالم الوجود ووجود الإنسان ومتطلبات سعادته.

**الهوامش**

1. ينظر: لسان العرب, ابن منظور: مادة (عقد).
2. دراسات في العقيدة الإسلامية, د. مهدي فضل الله.
3. ينظر: رؤى جديدة في الفكر الإسلامي, مرتضى مطهري: 9/ 712.
4. ينظر: الخطاب الغربي المعاصر: د مهدي فضل الله.82.
5. ينظر: رؤى جديدة في الفكر الإسلامي, مرتضى مطهري: 9/ 714.
6. ينظر: الخطاب الغربيالمعاصر: د. مهدي فضل الله:82.
7. ينظر: رؤى في الفكر الإسلامي: مرتضى مطهري:9/ 714.
8. الكتاب المقدس: رسالة بولس إلى رسول الروم، الباب 3, آية 24- 26.
9. تحقيق في ديــن المسيح: جلال الدين اشتياني: 346.
10. ينظر: تأريخ جامع الأديان: 553.
11. ينظر: علوم الدين:ابان بابور: 63.
12. الكتاب المقدس: متي، الباب 10, آية 14.
13. ينظر تاريخ التمدن: ويل دورانت: 1/ 109.
14. ينظر: الدين حدوده ومدياته: 378.
15. المجتمع المسكوني الثاني:15-16.
16. الدين حدوده ومدياته: 379.
17. تأريخ جامع الاديان: 79.
18. ينظر: الشوق وآلهجران: مصطفى ملكيان: 94-95.
19. ينظر تاريخ التمدن: ويل دورانت: 1/ 181.
20. الكتاب المقدس:، رسالة بولس إلى الروم، باب 13, آيات 1,4.
21. ينظر: الدين حدوده ومدياته: 383.
22. ينظر: علوم الدين:ابان بابور: 63.
23. ينظر: الدين حدوده ومدياته: 383.
24. ينظر: رؤى جديدة في الفكر الإسلامي, مرتضى مطهري: 9/ 712.
25. ينظر:الدين حدوده ومدياته: 383.
26. ينظر: رؤى جديدة في الفكر الإسلامي, مرتضى مطهري: 9/ 712.

**المصادر والمراجع**

1. القرآن الكريم.
2. الكتاب المقدس.
3. تأريخ التمدن: ويل دورانت، دار الاستشراق – بيروت – لبنان، 2010م.
4. تأريخ جامع الأديان:جان ناس باير، ترجمة علي حكمت، دار النشر الدولية. بيروت – لبنان، 1987م.
5. تحقيق في دين المسيح: جلال الدين اشتياني، مطبعة سنجارة، قم إيران، 1418ه.
6. الخطاب الغربي المعاصر تجاه الإسلام والمسلمين:د. مهدي فضل الله ط1, دار آلهادي، بيروت – لبنان، 1430ه.
7. دراسات في العقيدة الإسلامية: د. مهدي فضل الله، ط2، دار آلهادي، بيروت – لبنان، 2012م.
8. الدين حدوده ومدياته، دراسة ٌ في ضوء النص القرآني: مصطفى كريمي، ط1, مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت – لبنان،2010م.
9. رؤى جديدة في الفكر الإسلامي: الشيخ مرتضى مطهري، مطبعة شريعتي مدار, قم –إيران، 2010م.
10. علوم الديـن: ابان باربور،ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، طهران،إيران، 1389ه.
11. المجتمع المسكوني الثاني:أعضاء بالكنيسة الكاثوليكية، القاهرة، مصر، 1966م.
12. الشوق وآلهجران:مصطفى ملكيان، ترجمة: أحمد القبانجي، ط 1,دار الفكر الجديد، النجف – العراق (د.ت).
13. لسان العرب: جمال الدين بن منظور المصري، دار صادر، بيروت- لبنان، 1978م.